بسم الله الرحمن الرحيم

عدد خاص

العدد ١٠٧، ديسمبر ١٩٩١م، جمادى الثانية/رجب ١٤١٢هـ

صوت البحرين

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون

نشرة شهرية تصدرها حركة احرار البحرين الاسلامية

صوت الحركة الاسلامية في البحرين

ثلاثون عاماً وأنت حاكم.. فهل عقمت النساء؟

ماذا في جعبة امير البحرين، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، في عيد جلوسه الثلاثين، ليقدمه للشعب البحراني؟ وماذا سيقول في خطابه الاميري بالمناسبة في السادس عشر من هذا الشهر؟ وهل سيبرهن في حديثه للناس انه استوعب دروس الماضي القريب فيعلن توبته عن الآثام التي اقترفها بحق شعب البحرين طوال ثلاثة عقود من الزمن؟ هل سيطرح من مجلسه في قصر الرفاع ما من شانه اعادة البلاد الى حياتها الطبيعية؟ ام انه سيكتفي بترديد ما سئم الشعب سماعه وتكراره من تعداد «المكارم» و«المآثر» و«المنح» و«الهبات»، والدعاوى الفارغة حول الامن والاستقرار؟ ام التاكيد على سهر رجال الامن ويقظتهم حيال المخططات الرهيبة ضد الوطن وسلامته؟

لا نعتقد ان صاحبنا قد تغير، ومن السذاجة توقع اي امر جديد في خطاب «سموه» المرتقب. فهو، كامثاله من حكام الخليج، صامد كالطود لا يتزعزع عن مواقفه وثابت على سياسات القمع والاستبداد وحماية مصالح العائلة الحاكمة والاصرار على ان تقاليد دول الخليج وتراثها تمنع اي تغيير سياسي او اصلاح اداري، ومن يستطيع ان يختلف مع ما يتفوه به «الامير» الذي لولاه لمات الناس ولغاصت الارض بمن عليها؟ أوليس هو الرجل المفكر والمثقف المرموق والاب الحنون الذي يرى ابناءه كما يرى الوالد فلذات كبده؟ ومن يستطيع التشكيك في اخلاص هذا الوالد لابنائه؟ اوليست سجون البلاد مليئة بـ «العاقين» من الابناء. اوليست عصا السلطان تطارد من تراوده نفسه بعصيان الوالد؟ اوليست بلاد المهجر مكتظة بابناء البحرين الذين «تنكروا» لحنان ابوّة ابي حمد؟

هذه الافكار وامثالها هي ما يراود المواطن البحراني هذه الايام، بعد ان اثبت آل خليفة انهم اقوى من ان ينحنوا امام العواصف الشعبية خلال العقد السابق من الزمن. وبعد ان اكدوا للعالم ان سياسة «العصاة لمن عصى» هي سيدة الموقف وهي التي تؤطر العلاقة بين الحكم والشعب، وانه مادام هناك قوى كبرى، متمثلة بالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، مستعدة لتوفير الغطاء السياسي والعسكري لتصرفات آل خليفة وسياساتهم الداخلية، فلن يكون بامكان احد من ابناء الشعب ان يرفع رأسه او ان يطالب بشيء اسمه الحرية والديمقراطية والعدالة والمشاركة السياسية والسماح للرأي الآخر!

كثيرون لا يعجبهم هذا الكلام، والاكثر منهم اولئك الذين يحاولون انكار وجود الدعم السياسي والعسكري للنظام القمعي الخليفي وبقية الحكومات الخليجية. ولكن الشواهد تؤكد ان نظام القمع الخليفي لا يستطيع الصمود بوجه النقمة الشعبية والسخط الجماهيري، المعلن والمخفي، لولا استناده الى دعم غير محدود من قبل القوى ذات المصالح في المنطقة والتي ترى ان مصالحها تكون اكثر امانا اذا ما استمر الوضع الراهن على ما هو عليه الآن. وترى نفسها غير معنية بما يحدث لعشرات او مئات من ابناء شعب البحرين والخليج تزرح في سجون تدار بالخبرات البريطانية والامريكية ويشرف على استجوابهم خبراء استخبارات من هذه البلدان. وتؤكد ـ هذه البلدان ـ انها لا تتدخل في الشؤون الداخلية لبلدان الخليج او تنكر وجود هذه الاختراقات الفاضحة لحقوق الانسان في بلدان المنطقة. فهل هذه مواقفها عندما كانت تتعامل مع الاتحاد السوفياتي ايام كان ذلك البلد يشكل نداً حقيقيا على صعيد الوضع السياسي الدولي، او عندما تتعامل مع دول اخرى مثل الصين التي ما تزال تستعصي على معادلات التطويع؟

اننا لا نراهن على الموقف الغربي المحكوم بالمصالح قبل المبادىء، والذي تحركه العلاقات الآنية قبل ان يكون للانسانية اي دور في الموضوع. ويضاف الى ذلك اننا نؤمن بانه «ما حك جلدك غير ظفرك» وان الحمل الثقيل لا يقوم به الا اهله. كما نعتقد ان هذه القوى لا تستطيع ايقاف حركة التغيير التي تجتاح العالم، ومهما حاولت دعم الموقف الخليجي المتداعي والمتنكر لحقوق الانسان وللحرية والمشاركة الشعبية والاستقلال والسيادة الوطنية، فان منطق التاريخ اقوى من منطق القوة والطغاة. وقد يقول قائل ان هذه شعارات لن تجدي شيئا في منطق الواقع، ولكننا نؤكد ان التمسك بالمبادىء الثابتة التي يقرها الاسلام وتقرها فطرة الانسان وتؤكد عليها مواثيق الامم المتحدة هو الطريق الاقصر الى تحقيق المكاسب السياسية وتحقيق التغيير المطلوب في مجتمعات مغلوبة على امرها وواقعة تحت حكم استبدادي متخلف. واذا كانت اموال النفط قادرة على طمس الحقيقة الى امد ما فان انين شعبنا الخليجي المتواصل يستعصي على محاولات القتل والاخماد.

البقية على صفحة ٤

طرد طلاب العلوم الدينية

لا زال عدد من طلاب العلوم الدينية مشردين عن وطنهم بعد رجوعهم الى بلادهم بعد انتهاء ازمة الكويت ظنا ان الاوضاع سوف تتحسن. ومن هؤلاء الشيخ مكي علي مرهون وعائلته، والشيخ محمد حبيب البلادي وعائلته والشيخ جعفر علي حسن العالي وعائلته والشيخ محمد صالح البرباري وعائلته الذين طردوا الى الامارات ولا زالوا يعيشون القلق.

وكانت زوجة احد الطلاب ايمان عبد الحسين العريبي قد رجعت الى البحرين مؤخرا وتم ارجاعها مع ابنتها كوثر الى شيراز ولكن السلطات الايرانية ارجعتها ثانية وبقيت في الحجز حتى تدخل احد الوجهاء وهو السيد علوي الشرخات ونجح في ادخالها. وكذلك حصل الامر نفسه الى عوائل اخرى تم احتجازها وطرد افرادها والبعض الآخر نجح في الحصول على وساطة بعض الوجهاء.

مجلس الشورى العماني

اصدر سلطان عمان مرسوما في الثاني عشر من الشهر الماضي بشأن انشاء مجلس للشورى مؤلف من ٥٩ عضوا يمثل كل منهم ولاية عمانية ويجري اختيارهم عبر ترشيح وجهاء كل ولاية ثلاثة اشخاص يقوم بعدها السلطان باختيار احدهم. كما يقوم السلطان بتعيين رئيس المجلس.

ويعطي المرسوم السلطان الحق في تجديد عضوية الاشخاص لمدد متتالية، وحدد المرسوم صلاحيات المجلس بمراجعة مشروعات القوانين الاقتصادية والاجتماعية (دون السياسية والدفاعية والامنية)، والمشاركة في المحافظة على البيئة والخدمات والمرافق العامة، واقتراح وسائل العلاج المناسب لها.

والمرسوم يوضح ان المجلس ليس له اي صلاحيات تشريعية ولا يتعدى دوره الاقتراح والاشارة بدون اي قوة على ايقاف قانون تصدره احدى الهيئات التنفيذية.

الاردن تسلم الفاسي

قامت السلطات الاردنية بتسليم رجل الاعمال السعودي محمد شمس الدين عبد الله الفاسي في مطلع شهر اكتوبر الماضي اثناء زيارته للاقاة اهله في الاردن. والمعروف عن الفاسي مواقفه المعارضة لاستضافة الامريكان اثناء الغزو للكويت ومطالبته باطلاق الحريات الديمقراطية في السعودية.

هذا ولم يعرف بعد شيء عن مصير الفاسي وما اذا كانت الاردن قد سلمته كجزء من صفقة لتحسين العلاقات الاردنية ـ السعودية بعد ان تدهورت اثناء حرب الخليج.

وترتبط محمد الفاسي بالعائلة الحاكمة علاقة مصاهرة، حيث ان تركي بن عبد العزيز متزوج من أخته وكانت مواقف الفاسي تسبب قلقاً للعائلة الحاكمة التي تريد أن تظهر للعالم في وضع مستقر.

الافراج عن مجاهدين

اطلقت المخابرات سراح كل من الاستاذ عمران حسين عمران وابراهيم محمد امين عرب بعد ان قضوا سنين من العذاب في السجون. فالاستاذ عمران حسن عمران اعتقل عدة مرات خلال الثمانينات وتعرض للتعذيب الشديد في كل مرة يحقق معه ويعتقل. وهو في الاربعينات من عمره ومعروف عنه صراحته في معارضة النظام والتعبير عن رأيه في الاحتفالات والمناسبات الشعبية.

وفي آخر مرة اعتقل فيها تعرض للتعذيب الشديد. ومن اجل اهانته تم اطلاق سراحه لعدة ايام على ان يرجع لهم ويوافق ان ينضم لشبكة المخبرين، وهم يعلمون مسبقا ماذا سيكون رده، ولكنهم ارادوا الامعان في الاهانة، ولكنه اهانهم عندما واجههم بابائه المعروف قائلا لهم خسئتم. فما كان من المخابرات الا ان اضافته للمعتقلين السياسيين الآخرين بتهمة التحريض على كراهية النظام.

وكذلك الحال بالنسبة لابراهيم عرب، فقد اعتقل هذا الشاب الذي لا يتجاوز عمره الـ ٢٦ عاما اكثر من خمس مرات خلال سنوات الثمانينات. وكان الاعتقال يدوم لثلاث سنوات وسنة وخمس سنوات. وفي كل مرة توجه له تهمة التحريض على كراهية النظام. اما حب وترابط الناس معهم فقد بدا واضحا، حيث امتلأ منزلاهما بالوافدين طوال الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر.

قطر تنسحب من مؤتمر النفط

في معرض ومؤتمر الشرق الاوسط السابع للنفط الذي عقد في البحرين في الفترة ١٦ـ١٩ نوفمبر الماضي حدثت مشادة بين الوفد القطري والسلطات البحرانية. فقد عرض وفد شركة النفط القطرية خارطة تبين جزر حوار البحرانية ضمن الحدود الاقليمية القطرية، الامر الذي ازعج السلطات في البحرين، واضطرهم لمطالبة الوفد القطري بازالة الخارطة.

الوفد القطري من جانبه تشدد في موقفه واصر على ابقاء الخارطة وهذا التشدد دفع الامور الى حافة الانفجار الكلامي، وانسحب الوفد القطري على اثر ذلك من المؤتمر والمعرض!

الامير والمستقبل الغامض

هل ينقلب رئيس الوزراء على اخيه الامير كما فعل سابقوه؟

ثلاثون عاما مرت على استلام الامير الحالي مقاليد الحكم بعد رحيل والده الشيخ سلمان بن حمد عام ١٩٦١م. ولو تصفحنا تاريخ العقود الثلاثة الماضية، والتغييرات التي طرأت على العالم والمنطقة، والتطورات التي مرت بها البحرين والخليج عموما، ثم قارنا ذلك كله بما ادخله الامير وعائلته على نمط الحكم والدولة، لاعتبر الاجانب ان المقارنة من نسج الخيال.

في الثلاثين عاما الماضية انتشرت دعوة الشيوعية والحكم الاممي الاشتراكي لتغطي ثلثي ارجاء المعمورة. وكانت الستينات هي العقد الذهبي للماركسين ودعواتهم، توّجت بهزيمة الولايات المتحدة الامريكية في فيتنام في مطلع العقد اللاحق. ونال الخليج من هذه الدعوات الكثير. ولم تمض عشرون عاما حتى تهاوت قلاع الشيوعية وانهارت امبراطوريتها في الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية. وعمت العالم موجة تدعو للتحرر من الدكتاتورية اليسارية بعد ان كانت الشعارات تطالب بتحكيمها في مواجهة الراسمالية. وشهد عام ١٩٨٩ و ١٩٩٠ انفتاحا سياسيا لم يعرف له مثيل في تاريخ الحكم والسلطة.

في منطقة الخليج، والعالم الاسلامي ككل هناك عنصر آخر برز بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ وظهور الاسلام «الديموقراطي» الذي يعتمد اساسا فكريا وتاريخيا هو مبدأ الشورى. ورغم محاولات عديدة لانهاء التجربة الايرانية الا ان الثورة انتقلت الى مرحلة الدولة وتركيز اركان السلطة القائمة على الشريعة الاسلامية وما توفره من مرونة ذاتية في التفاعل مع متطلبات العصر.

النموذج الاسلامي بدأ يتبلور منذ اليومالاول، ومعالمه الرئيسية تتمثل بتحكيم الشريعة، واقامة مجالس انتخابية للمشاركة في التشريع الدستوري واختيار السلطة التنفيذية من قبل الشعب واستقلال المؤسسة القضائية.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى تعمل الدولة على انهاء ممارسات الفساد الاداري، والاحتكار وتحرير الاقتصاد ومشاريع التنمية وبالتالي تقديم المثل الحضاري المطلوب، الا وهو قدرة الاسلام على احترام واسعاد الانسان، وضمان سيادة القانون وتركيز مبدأ تعدد الكفاءات والمحاسبة.

القبيلة والدولة

في قبال كل الذي يحصل من تطورات من سقوط الشيوعية وانتشار المد التحرري وبروز الانموذج الاسلامي الملبي لطموح انسان هذا الزمان، بقيت منطقة الخليج جامدة لاتتحرك، وكأن الزمان قد توقف في الخليج. وهذا لا يعني ان المباني واجهزة الكماليات وغيرها بقيت كما هي عليه منذ ١٩٦١ حتى الآن. ما حصل هو ان ازدياد اسعار النفط عدة اضعاف في منتصف السبعينات هيأ للحكومات الخليجية موردا ماليا ضخما استطاعت من خلاله ترصيف الشوارع واقامة المباني والانتقال الى عصر الالكترونيات بسرعة قياسية. الذي لم يتغير هو مفهوم الدولة والفاصل بينه وبين اعراف القبيلة.

القبائل الحاكمة في الخليج بقيت تتعامل مع «الرعية» وكأنهم يعيشون في معزل عن تطور الانسان في العالم، وتطور الانسان في الخليج. المعروف ان الدولة تتكون من السلطة الحاكمة، والمواطنين والوطن بما يحويه من ثروات وخيرات. والتقدم البشري يستدعي الرقي بالعناصر الثلاثة المكونة للدولة. فالسلطة تتطور في علاقتها بالمواطن والارض، والمواطن يفرض هذا التطور عن طريق نظام المحاسبة، وهكذا، فالقائمون على الامر لا يتقاعسون عن خدمة المحكومين، ولا يسيئون استغلال البلاد والا تم استبدالهم بمن هم اكفأ وانزه في مهنة الادارة.

اما مفهوم القبيلة، فانه يعتبر افرادها تابعين لاوامر زعيم القبيلة، لا يسألونه عن عمل قام به او آخر قصر فيه، ومن «لطف» زعماء القبائل ان بعضهم يقيم مجلسا في بيته لاشراف القبيلة واعيانها للتشاور في امور الحرب الغارات والتحالفات وللاستئناس بمسامرتهم، والزعيم ليس ملزما بالاخذ بهذا الرأي او ذاك. والزعيم هو القاضي ايضا، فيحكم على خصومه كما يحكم على غيرهم، وهو الذي يتحكم في اقتصاد الدولة ويحدد ضريبة على اطرافها المترامية. والادهى انه ينظر الى افراد قبيلته كما ينظر لماعزها وجماله، يسوقهم اينما يشاء، ويمنعهم عمن يشاء.

ولو القينا نظرة سريعة على نمط الحكم الذي ساد البحرين خلال الثلاثين سنة الماضية تاركين العقود السابقة، بدون التماس العذر لآباء الامير واجداده، لوجدنا ان التطور العمراني والتكنولوجي، والطفرات الهائلة في مدخول البلاد لم يوازه تطور في مفهوم القبيلة.

ورغم ان مطلع السبعينات، وبعيد انتهاء معاهدات الحماية مع بريطانيا ومغادرة قواتها العسكرية قد شهدت نوعا من الانفراج تمثل في اقامة المجلس التأسيسي وكتابة الدستور واقامة المجلس الوطني، فأن الامور عادت لوضعها السابق منذ صيف ١٩٧٥ حتى الآن. وبقي نمط الحكم القبلي كما هو متمثلا في المعالم التالية:-

١ - استمرار نفس الزعيم القبلي في شخص الامير على رأس السلطة، بدون ان يحصل على بيعة من المواطنين وبدون ان يعرض شعبيته او عدمها للاختبار.

٢ - استمرار تسلط فخوذ العائلة الحاكمة واستفرادها بالوزارات الحساسة كالخارجية والدفاع والداخلية والعدل وغيرها.

٣ - استشراء الفساد التجاري من قبل ابناء العائلة الحاكمة، والدائرة المحيطة بهم، عالم التجارة ومنافسة رجال الاعمال والتجار في ارزاقهم.

٤ - اتساع الهوة بين الاغنياء والفقراء بدون ان يتمكن احد من الدفاع عن الطبقات الضعيفة لعدم وجود القنوات الضرورية. وحتى مجلس زعيم القبيلة لم يعد كما كان، بل فقد أجواء الحوار الذي كان يدور بين العائلة الحاكمة والعوائل الاخرى.

٥ - فساد الجهاز القضائي لان الكثير من القضاة اما من ابناء القبيلة ذات المصلحة السياسية والتجارية، او ممن يتم توظيفهم على اساس حماية هذه المصلحة.

غير ان هذه المعالم القديمة قد اضيف لها الكثير من صور الظلم وممارساته لمواجهة الوعي الذي يتنامى لدى سكان البلاد. وهكذا بدأ مجلس العائلة يعتمد اكثر واكثر على جهاز مخابرات يديره ابناء العائلة واجانب من مختلف الجنسيات. واستشرى الجهاز وامعن في اسكات الاصوات التي تعارض استمرار الجمود في مفهوم الدولة وممارساتها، واغلاق المنابر التي تطالب العائلة الحاكمة بالتخلي عن مفاهيم الصحراء والرعي في عصر العلم والاقمار الصناعية.

والنتيجة ان البلاد يشرف على ادارتها جهاز خليط من مفاهيم القبيلة واعرافها ومن وسائل القمع الحديث. ويدعم هذا الخليط الرجعي اعلام مركز يحاول تقديس مفهوم الحكم العشائري من جهة وابراز التطور العمراني من جهة اخرى، واظهاره على انه علامة للتقدم و الرقي.

وقد عودنا الامير منذ عشرين ان يلقي كلمة في ما يسميه «العيد الوطني» يسرد خلالها انجازات الحكومة في المجالات الاقتصادية والصحية والتعليمية، ويبشر بمشاريع مستقبلية. لكن كلمته

الامير يدشن عهده عام ١٩٦١

تخلو عادة من الاشارة الى الانسان في البحرين وطموحاته ومشاكل الامة. وفي مفهوم الدولة العصرية، سواء اكانت غربية ام اسلامية يحسب رأس الدولة الف حساب لكل كلمة يوجهها للرأي العام، لانه سيتعرض للاستجواب والمساءلة من قبل ممثلي الشعب. اما عندما يلقي الامير او الملك كلمة في دولة خليجية فانها تمثل القول الفيصل، ومن أمن الحساب طغى بدون حساب.

غموض المستقبل

غير ان الامور لا يمكن ان تستمر كما كانت، والامير وعائلته يخطئون اذا اعتقدوا ان السنين القادمة ستبقى كما كانت في الثلاثين سنة الماضية. و هناك تحديات كبيرة لمفهوم الحكم القبلي، اقلها ازدياد التوقعات لدى ابناء الشعب بضرورة اقامة العدل واحترام الآراء التي تخالف الرأي الحاكم. ومن مميزات هذا العقد الأخير من القرن العشرين غياب المبرر التقليدي الذي تعتمد عليه الحكومات الخليجية في محاولتها السيطرة على الجبهة الداخلية، الا وهو حماية مكتسبات الامة من التدخل الاجنبيب والاعمال التخريبية التي تستمد دعمها من الاجانب. لقد زال الخطر الشيوعي، ولا يمكن اتهام الجمهورية الاسلامية في ايران بأنها تخطط لزعزعة انظمة الحكم القائمة بتبني حركات سياسية تعتمد العنف.

من جهة اخرى اصبحت الدول التي تدعم الحكومات الخليجية في موقف صعب امام مطالب المواطنين المشروعة المتمثلة باحترام حقوق الانسان وفي مقدمتها الحقوق السياسية. وليس بمقدور لندن او واشنطن التذرع بمحاربة الخطر الشيوعي في دعمها للحكومات القمعية في الخليج. وقد أدى الغزو العراقي للكويت الى ايضاح امور عديدة، من بينها تحديد مصدر الخطر على المستوى الاقليمي ولكن اهمها بروز الدور الحاسم للقواعد الشعبية الكويتية خاصة والخليجية عموما، وما يعنيه هذا الدور في حماية المنطقة و ٦٥٪ من مخزون النفط العالمي.

ولمواجهة المستقبل المرتبك اعلنت عمان عن اقامة مجلس للشورى واشارت السعودية الى احتمال اقامة جهاز مشابه. اما الكويت فتحاول الحكومة جاهدة ترويض الشارع قبل حلول اكتوبر موعد الانتخابات النيابية، وشراء من يمكن شراؤه واظهار اعضاء المجلس الوطني الحاليين بمظهر يحسن من فرصهم في النجاح عندما يحين موعد الامتحان.

اما البحرين فان الوضع فيها يختلف عن السعودية وعمان، والعائلة الحاكمة لا تجرؤ على اقامة مجلس للشورى كما انها تخاف من انتخابات نيابية، لمعرفتها بمدى احساس المواطنين في الجزر تجاه القائمين على السلطة التنفيذية والقضائية. المجتمع البحراني يعتبر من اكثر مجتمعات الخليج تسييسا ووعيا، ولا يكن احتراما او حبا للجهاز الحاكم. وهكذا، فالحكومة واقعة بين محذور الاستمرار في الوضع المختنق الحالي، او الخطو نحو

البقية على صفحة ٣

المعارضة والامتحان الصعب: قراءة في التاريخ المعاصر للعلاقة بين الحكومة والشعب

لم تكن الدول الخليجية تحظى باية اهمية استراتيجية او اقتصادية للعالم الخارجي حتى منتصف القرن الحالي. ولكن الاهمية الاستراتيجية كانت بسبب الموقع الجغرافي. فعندما سيطرت شركة الهند الشرقية على الخليج واجبرت المشايخ على توقيع اتفاقية الصلح ومنع القرصنة لعام ١٩٢٠ كان الهدف حماية التجارة بين بريطانيا ومستعمرة الهند التي كانت مركز الثقل الاقتصادي لبريطانيا العظمى. ولذلك عندما وقعت القبائل على الاتفاقية لم تهتم بريطانيا كثيرا بالاوضاع الداخلية المتخلفة. بل على العكس سعت الى تركيزها عبر حكاية القبائل الموقعة على اتفاقية الصلح. وهذا ما يفسر عدم اهتمام بريطانيا بالجزيرة العربية ذات الصحراء الجدباء.

والبحرين كانت في ذلك الوقت محطة للطامعين بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط الخليج ازدهار الحياة الاقتصادية فيها عبر صناعة صيد اللؤلؤ وتطور الحياة الاجتماعية.

الا ان نقطة الضعف في موقع البحرين هي صغر حجم الجزر بالنسبة لما يجاورها. ولذلك كانت عرضة للقبائل البدوية والقراصنة الذين كانوا يسيطرون على مساحات واسعة من مياه الخليج. وكانت الهجمات المتكررة من قبل ائمة مسقط آنذاك كافية لزلزلة الاستقرار المدني الذي ادى لنزوح مجاميع كبيرة من البحرين الى سيهات والمناطق الساحلية لفارس.

وزاد الوضع سوءا بعد زوال الحماية الفارسية للجزر وهزيمة حكام البحرين آنذاك (نصر آل مذكور) امام هجمات القبائل بقيادة آل خليفة الذين استولوا على البحرين بعد معارك طاحنة. الا ان آل خليفة سرعان ما تعرضوا لنفس المشاكل التي يحتمها موقع البحرين. فبالاضافة لكراهية شعب البحرين لهم بسبب ما عاناه منهم اثناء غزوهم لجزر، كان حاكم مسقط يعي للسيطرة على البحرين وكانت الحركة الوهابية تتوسع في الجزيرة العربية وحاول مد نفوذها للبحرين. اضافة الى ذلك كانت فارس تحاول اعادة الحماية الى البحرين.

وفي هذه الفترة كان قبيلة آل خليفة تخوض حربا طاحنة بين اجنحتها المتصارعة من اجل الانفراد بالحكم. وكان آل خليفة يغيرون ولاءهم بين الفترة والاخرى عبر دفع الجزية (او الزكاة) الى حكاكم مسقط تارة والى الوهابيين تارة والى حاكم شيراز تارة اخرى.

الا ان حاكم مسقط استطاع السيطرة على البحرين في مطلع القرن التاسع عشر وللقضاء على آل خليفة تحالف مع الشيخ محمد بن خلف احد علماء الدين في البحرين، واستطاع من خلال ذلك تثبيت حكمه لعامين. الا ان آل خليفة سرعان ما تحالفوا مع الوهابيين وهاجموا البحرين وطردوا ممثل حاكم مسقط من قلعة عراد بالمحرق. ولكن آل خليفة وجدوا انفسهم رهائن للوهابين الذين عينوا ممثلا لهم في الجزر لجباية الزكاة، وهذا التطور دفع آل خليفة للاتصال بحاكم مسقط من اجل دفع الجزية مقابل الحماية من ابن سعود.

في هذه الفترة ظهرت بريطانيا على مسرح الاحداث وفرضت على القبائل توقيع الاتفاقية العامة عام ١٨٢٠ كما ذكرنا آنفا.

كان هم الشركة البريطانية كما سبق حماية خطوط الملاحة من الهند واليها ولذلك بقيت الحياة السياسية ثابتة على تخلفها وتحظى بدعم القوى العظمى آنذاك.

وبعد قرن من السيطرة البريطانية وتغير الاوضاع السياسية غيرت بريطانيا من سياستها وبدأت بتنفيذ بعض الاصلاحات الادارية على اجهزة الحكم القبلية وذلك من اجل منع الانتفاضات التي من شأنها التأثير على المصالح البريطانية.

غير ان الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين الاولى والثانية كانت نقطة تحول كبيرة في السياسة الدولية. فقد ادى الكساد العالمي في الثلاثينات الى ظهور الولايات المتحدة الامريكية على المسرح الاقتصادي الدولي عبر عمليات التنقيب عن البترول وفجأة وبعد ان كانت بريطانيا لا تهتم للناحية الاستراتيجية الاقتصادية للمنطقة الخليجية وجدت نفسها امام تحدٍ كبير. فبعد ان تلكأت عن الاستثمار في عمليات التنقيب، تقدمت الشركات الامريكية الى البحرين والجزيرة العربية، وبالفعل تم حفر اول بئر للبترول عام ١٩٣٢ في البحرين وتلا ذلك بدء عمليات التنقيب في الجزيرة العربية. وكانت الادارة الامريكية تحول ميزانية آل سعود مقابل المضي في التنقيب عن البترول لعدة سنوات.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اصبحت بريطانيا عاجزة عن منافسة الولايات المتحدة في مد نفوذها الى الناحية الاقتصادية بعد ان سيطرت الشركات الامريكية على التنقيب والانتاج والتسويق.

ادى هذا التحول الاستراتيجي الى زيادة مدخول القبائل الحاكمة، ووجدت هذه القبائل نفسها تحظى بسلاحين فتاكين، قوة مالية لم تكن تحلم بها، وحماية استراتيجية من اقوى دول العالم سابقا (بريطانيا) واقواها في العصر الحديث (الولايات المتحدة).

هذا التحالف المشؤوم عمل على خنق التطلعات الشعبية، الساعية لنيل حقوقها في العيش ضمن نظام يكفل الحريات المدنية والاقتصادية والسياسية لمواطنيه.

في مطلع السبعينات عندما عجزت بريطانيا عن مواصلة تواجدها العسكري في المنطقة وشرعت في الانسحاب كان البديل العسكري الامريكي جاهزا لملء الفراغ وبالفعل خرجت القوات البريطانية من قاعدة الجفير بالبحرين وحلت محلها القوات الامريكية.

وكان موضوع الامن الخليجي ولا يزال الشغل الشاغل للسياسيين الغربين. والمهم في الامن الخليجي بالنسبة لهم هو استمرار تدفق النفط لا غير. ليس المهم ان تتطور الحياة السياسية وليس المهم ان يكون الحكام عادلين ومنصفين لشعوبهم، هذا ما صرح به جورج بوش عندما قال اننا لم نحرر الكويت لارجاع الديمقراطية، بل لاخراج العراق من الكويت. وهذا ما تؤكده مواقف الغربيين من خلال التغاضي عن الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان ومد الانظمة الحاكمة باجهزة استخبارات متطورة وعدم الاستجابة لنداءات الحركات الديمقراطية والوطنية بوضع حد للاستبداد والقمع.

رجوعا الى العام ١٩٧١ عندما انسحبت بريطانيا من الخليج حينها شجعت الدول الخليجية الصغيرة (التسع) للدخول في «اتحاد امارات» لتسهيل عملية التعامل مع العالم الخارجي. وكانت البحرين قد دخلت في هذا المشروع في بادىء الامر خوفا من شاه ايران الذي كان يطالب بالبحرين. وكانت السلطة تواجه تحديا داخليا بسبب تنامي الحركة المعارضة للنظام القبلي. ولذلك وافق آل خليفة على تشكيل المجلس التأسيسي ومن ثم المجلس الوطني.

تراجع آل خليفة عن القرار الاول في الدخول مع الامارات الاخرى في «اتحاد سياسي» بعد زوال خطر مطالبة الشاه بايران. ولكن التجربة البرلمانية استمرت لفترة ثلاث سنوات، لم يتحمل بعدها آل خليفة محاسبة ممثلي الشعب لهم، وسرعان ما انقض النظام القبلي على البرلمان. اذ لا يشعر النظام بالحاجة لتماسك الجبهة الداخلية ما دام هناك ما يكفي من السجون ووسائل التعذيب والاهانة وما دام هناك الخبراء البريطانيون يديرون «الامن» الداخلي.

حركة المعارضة اذن في وضع لا يحسد عليه، فالناس في بلداننا ليسوا اهم ـ في نظر ساسة الغرب ـ من سيارات مواطنين اوربا وامريكا، المهم ان يستمر تدفق الطاقة لتسيير عجلة الاقتصاد. واذا كان ذلك لا يتم الا عبر دعم اكد الانظمة تخلفا سياسيا في ذلك فلا بأس به.

هذا على المستوى الخارجي، اما على المستوى الداخلي فتعاني حركة المعارضة من تركيز جميع السلطات ومراكز القوى بيد القبيلة الحاكمة. القبيلة هي الحكومة وهي السلطة المشرعة وبيدها السلطة القائمة. والقبيلة تسيطر على الحياة الاقتصادية ولا توجد هناك نقابات او مؤسسات اقتصادية اخرى بامكانها منافسة القبيلة. والقبيلة لديها السلاح والعتاد والجيش والمخابرات. والقبيلة تسيطر على وسائل الاعلام والمؤسسات التعليمية. حركة المعارضة واقعة في امتحان صعب بين الخضوع للواقع، وما يعني ذلك من الانسياق مع السلطة في ظلمها وطغيانها ومشاركتها في زيادة التخلف والتبعية السياسية او ان تستمر المعارضة في تحمل مسؤولياتها التاريخية في فضح النظام والدفاع عن مصالح الامة كما يحتم ذلك المنطق الانساني.

الامير والمستقبل الغامض ـ البقية

انفتاح سياسي لا تضمن عواقبه.

المستقبل الغامض هذا سيزداد حرجا كلما ازداد موقف الدولة صعوبة على المستوى الاقتصادي وعلى مستوى النزاع مع قطر حول جزر حوار. فعلى كلا المستويين يعرف آل خليفة ان الشعب وحده القادر على تحمل المسؤولية، وان العزلة التي تعيشها السلطة لا يمكن التخفيف من نتائجها بتوجيه الرأي العام، واقناع الممولين الخليجيين بضرورة مواجهة الخطر الشيوعي او الاسلامي من الخارج، فذلك إفك يعجز عن تحريره حتى وزير الاعلام واجهزته.

وفيما تواجه الحكومة هذه التحديات، ينشغل اخوه خليفة بحياكة المؤامرات على مستوى العائلة محاولا كسر التقليد الخليفي الذي ينقل السلطة من الاب لابنه. فبعد ابراز علي بن خليفة الى وسائل الاعلام والسلك الدبلوماسي، استطاع ثعلب الرفاع خليفة بن سلمان ان يعزل ولي العهد ساحبا منه آخر مناطق النفوذ، ضامنا تأييد وزارتي الداخلية والدفاع في منافسته لابن اخيه.

ومنذ ازاحة حمد من قوة الدفاع تطورت وكبرت بل تضاعف عدد جنودها الى ما يزد على سبعة آلاف (انظر: التوازن العسكري بين قطر والبحرين). واذا استطاع خليفة المعروف عنه اثارة القطريين حول جزر حوار، من حسم الامر اما عن طريق المحكمة الدولية او عسكريا، فانه لن يرضى باقل من تعيين ابنه، علي وزيرا وربما انقلب على اخيه، كعادة زعماء القبائل. هذا الهاجس لا يمكن الا ان يزيد في غموض المستقبل الذي ينتظر الامير، وهو ما يعبر عنه دائما لمن يثق فيه من الزوار.

عدد خاص

ثلاثون عاما: سجل حافل بالمآسي

تتصادف هذا الشهر ذكريان تمثل كل منهما حدثا له اهميته الخاصة في حياة شعب البحرين. اولى الذكريين مرور ثلاثين عاما على وصول الحاكم الحالي، عيسى بن سلمان آل خليفة، الى الحكم على اثر وفاة ابيه في عام ١٩٦١. وثانية الذكريين مرور عشرين عاما على الانسحاب البريطاني من الخليج للمرة الاخيرة. وكلا الذكريين تنطوي على ابعاد سياسية كبيرة يجدر الوقوف عند بعضها اذا ما اريد معرفة حقيقة ما يجري في البلاد هذه الايام وما يمكن عمله للبدء بعملية النهوض المطلوبة.

بسبب الحكم الوراثي في البحرين، فان موت الوالد عادة يعقبه حكم الولد او من هو ولي عهده، ان لم يكن له ابن. وعندما توفي سلمان بن حمد بعد ان حكم البحرين ١٩ عاما (١٩٤٢- ١٩٦١) استلم ولي عهده حاكما للبلاد. واذا كان عهد سلمان بن حمد قد شهد اضطرابات عديدة اهمها حوادث العام ١٩٤٨ وحركة الهيئة التنفيذية العليا (١٩٥٤- ١٩٥٦) فان الثلاثين عاما التي اعقبت وفاته شهدت من الحوادث السياسية ما لا يقاس بشيء مما حدث على عهده. فما ان جاء الى الحاكم الحالي الى الحكم عام ١٩٦١ حتى بدأت الاضطرابات تعشعش في البلاد. ففي العام ١٩٦٢ اضراب مدرسو المدرسة الثانوية مطالبين بتحسين اوضاعهم واعتقل الكثير منهم. وفي العام التالي (١٩٦٣) شاركت النساء في المعارضة العلنية عندما خرجت المظاهرات لتأييد الوحدة بين مصر وسوريا والعراق، تلك الوحدة التي انفرطت لاحقا.

وفي العام ١٩٦٥ حدثت حركة شعبية واسعة اتسمرت ثلاثة اشهر كاملة وتوفي فيها حوالي ١٤ شخصا من شباب البحرين. وبدأت تلك الحوادث اثر قرار شركة نفط البحرين (بابكو) الاستغناء عن اكثر من ٥٠٠ موظف بحراني لديها، الامر الذي كان بمثابة الشعلة في الوسط الطلابي. فانطلقت المظاهرات من مدارس البحرين وجابت شوارع العاصمة والمدن والقرى الاخرى لتضع البلاد جميعا في حالة غليان رهيبة. في هذا الوقت كان البريطانيون ما يزالون يقومون بحماية آل خليفة، فنزلت قواتهم في شوارع المدينة بكامل سلاحها. وكان الغضب الشعبي منصبا على طرق معاملة ابناء الشعب ودور الانجليز في عملية التخطيط لسياسات الحكومة الامر الذي احدث ارتباكا شديدا في دوائر القرار البريطاني، ولم يهدأ الوضع الا بعد حلول العطلة الصيفية في نهاية شهر يونية. كانت تلك الحركة وما تلاها من اعمال قمع قاسية دليلا على ما هو آت من الايام ومواقف آل خليفة من الحركة الشعبية والمطالب الجماهيرية. كما ان تلك الاحداث كانت تشير الى نمط الحاكم الجديد في التعامل مع المعارضة.

وكانت المعارضة قد عرفت سياسات الحكومة من خلال المواقف الخليفية خلال ازمة ١٩٥٦. ومع ذلك كان الغليان الشعبي كافيا لاحداث حركة سياسية هزت اركان النظام ودفعته للايعاز للجنود باطلاق النار في الشوارع على المتظاهرين العزل.

تلى تلك الاحداث مناوشات بين الجانبين، فكانت مظاهرات عام ٦٦ في الذكرى الاولى لانتفاضة ٦٥ وفي عام ١٩٦٧ على اثر هزيمة حزيران. كما حدثت اضطرابات اخرى عام ٦٨ و٦٩. وكان الطلاب يمثلون رأس الحربة في تلك التحركات، كما كانت المنشورات السياسية توزع على نطاق واسع خصوصا وان السجون كانت مليئة بالشباب. وكانت المواجهة الشعبية عام ١٩٦٨ بلغت اوجها حيث قام بعض الشباب باعمال عنف تمخضت عن تفجير سيارة تابعة للمخابرات البريطانية، جرح فيها ثلاثة من عناصر الاستخبارات، وسجن بسببها عدد من الشباب من بينهم محسن مرهون الذي قضى في السجن حتى الآن ٢٣ عاما.

في ذلك العام جاء القرار البريطاني بالانسحاب من شرق السويس كسياسة اقرتها حكومة حزب العمال وشارك غورنوي روبرتس في صياغتها بعد ان زار منطقة الخليج والتقى شيوخها. والسبب المعلن وقته لذلك الانسحاب وجود مشاكل مالية ناتجة عن كساد اقتصادي هائل نتج عن حرب ٦٧ وعوامل داخلية اخرى. وكان اعلان بريطانيا الانسحاب خبرا محزنا جدا للحكومات القبلية في الخليج، حتى ان حاكم ابو ظبي، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان اقترح على الانجليز دفع مبلغ ١٢ مليون جنيه استرليني، وهو المبلغ الذي ادعت بريطانيا انه يمثل تكاليف وجود قواتها في الخليج، ولكن كان القرار البريطاني نهائيا. اما البحرين فقد خسرت ٥ ملايين جنيه استرليني قيمة ودائعها في البنوك البريطانية بسبب خفض سعر الجنيه نتيجة الوضع الاقتصادي البريطاني المتأزم. هذه الامور مجتمعة خلقت في الجو السياسي الخليجي ارتباكا شديدا حيث كانت الحكومات القبلية معتمدة في وجودها وحمايتها على الدعم البريطاني المباشر. ولم تجد زيارات غورونوي روبرتس آنذاك ممثلا عن الحكومة البريطانية في التقليل من قلق حكومات دول الخليج العربية. وقتها كان البحث قائما عن صيغة لجمع امارات الساحل المتصالح التي كان شيوخها متفرقين وكانت كل امارة تعيش منفصلة عن الاخرى وتشعر بالاستقرار في ظل الحماية البريطانية.

في ذلك العام (٦٨) حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الايرانية - البحرانية. فقد صرح شاه ايران في مؤتمر صحفي في الهند انه مستعد لاحترام قرار شعب البحرين حول مصيره، وهي المرة الاولى التي يفهم منها استعداده للتخلي عن المطالبة بالبحرين. وعلى اثر ذلك قامت الامم المتحدة بخطوات جادة لتحديد ما يريده البحرانيون، وتمخضت جهودها عن ارسال وفد رسمي عام ١٩٧١ الى البحرين برئاسة شخص ايطالي للنظر في التوجه العام لشعب البحرين. وقتها كان هناك شبه اجماع على الرغبة في استقلال البلاد وعدم التبعية لحكومة الشاه الايراني. ولعب علماء الدين دورا بارزا في هذا المجال حيث كان حكم الشاه مكروها لدى شعب البحرين. وبعد زيارات الوفد الرسمي للامم المتحدة النوادي والجمعيات والمؤسسات الشعبية والرسمية رفع تقريره الى الامم المتحدة بان الشعب يريد الاستقلال. وفعلا اعلن عن استقلال البحرين بشكل كامل وقبلت عضوا في الامم المتحدة في ذلك العام. وتزامن ذلك مع الانسحاب البريطاني العسكري من الخليج الذي اكتمل في ديسمبر ١٩٧١.

قرار الشعب البحراني بالاستقلال لم يكن يعني القبول بحكم آل خليفة، بقدر ما كان يعني الرغبة في استقلال البلاد والانفصال عن حكم الشاه الايراني الذي كان يمثل كل معاني التبعية للغرب. ولم يكن هنالك حب بين الناس والحكومة، خصوصا بعد عقود من المآسي تحت حكم العتوب، وبعد مواجهات عنيفة في الخمسينات والستينات. وكان امل الشعب ان يكون تدخل الامم المتحدة في قضيته تقرير مستقبل البلاد ضمانا لمستقبل الحرية في البلاد وليس فقط لاقرار الحكم الخليفي والتسلط القبلي. وكان آل خليفة قد دخلوا في اتفاق ضمني مع اعيان البلاد حول مسائل تتعلق بطريقة حكم البحرين مثل التشاور وعدم الاستبداد في القرار السياسي ومشاركة في الادارة واحترام حقوق الناس. ولكن آل خليفة لم يكونوا بمستوى المسؤولية والالتزام بالوعد.

وبانتهاء الوجود البريطانيا في الخليج حدث تطوران على الصعيد البحراني، الاول ظهور او تجربة ديمقراطية في البلاد. والثاني الدخول في اتفاقات عسكرية مع الولايات المتحدة الاميركية لتحل محل بريطانية في الخليج. فعلى الصعيد الاول كان آل خليفة يحاولون الظهور بمظهر عصري فاعلنوا - باتفاق مسبق مع البريطانيين - عن قرارهم بكتابة دستور للبلاد يقره بعد التعديل مجلس تأسيسي ينتخب نصف اعضائه وتعين الحكومة النصف الآخر. وبالفعل تم ذلك وحدثت اول انتخابات في البلاد في ديسمبر ١٩٧٢، وبدأ المجلس اجتماعاته خلال العام ١٩٧٣، حيث اقر دستور البلاد بعد مناقشات حامية في جو اجتماعي وسياسي ساخن تميزت خلاله كتلتان، دينية ويسارية حاولت كل منهما التأثير على اتجاه الدستور حسب انتمائها العقيدي.

كان لجو الحرية النسبي اثر كبير على معنويات الناس، وحدث انفتاح حركي واسع نجم عنه طرح اسلامي ثقافي شكل جانبا مهما من الصحوة الاسلامية التي اجتاحت العالم الاسلامي منذ مطلع السبعينات. وحين جاءت انتخابات المجلس الوطني التي ينص عليها الدستور عام ٧٣ كان الجو العام يتبلور على اساس رغبة الناس في الاستفادة من الوضع الديمقراطي وتحقيق قدر من الحقوق الاساسية، فكانت حركة العمال في شركة

التغيير الوزاري ممنوع

بقيت الحكومة التي كونها رئيس الوزراء، خليفة بن سلمان آل خليفة، بعد حل المجلس الوطني في ٢٦ اغسطس ١٩٧٥، على ما هي عليه منذ ذلك الوقت، ولم يجد دافعا لادخال اي تعديل او تغيير عليها، كما لم يجد دافعا لاعادة النظر في سياسات تشكيل الحكومة لتكون اكثر تمثيلا للشعب. وكانت الحكومة التي سبقت هذه الحكومة قد كونت بعد اعلان استقلال البحرين وانسحاب بريطانيا من الخليج عام ١٩٧١. ومنذ تكوين الحكومة الثانية حتى الآن فقد بقي الزمن واقفا لا يتحرك، في نظر خليفة بن سلمان، حيث لم يجد خلال الستة عشر عاما الماضية اية ضرورة لاعادة تشكيل الحكومة. وهذه الحالة فريدة من نوعها في الخليج وفي العالم، اذ لا يعقل ان تستمر حكومة ما بدون تعديل او تغيير برغم ما مر على البلاد من قضايا وتطورات.

فحتى دول الخليج الاخرى تقوم بين الفينة والاخرى باجراء تعديل وزاري كبير او طفيف ملائما التطورات السياسية التي تحدث عادة داخل البلاد وخارجها. فالسعودية اجرت تعديلات على حكوماتها المتعددة، مراعاة للموازين السياسية ووفقا للظروف المتجددة، وحكومة الكويت اجرت اعادة تشكيل للحكومة اكثر من مرة قبل الغزو وشكلت حكومة جديدة بعد التحرير تحتوي على عناصر جديدة ربما لم يعمل بعضها في الحكومات السابقة. وهناك كلام قوي عن توجه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حاكم الامارات لاعادة تشكيل حكومة الامارات. وكان هناك تعديل في هذه الحكومة العام الماضي حيث تم ادخال عناصر جديدة منها تريم عمران حيث اصبح وزيرا للعدل بينما كان محسوبا على الخط القومي المطالب بالديمقراطية ويعتبر معارضا من خلال جريدته اليومية «الخليج». كما ان السلطان قابوس بصدد اجراء تعديل حكومي خلال الشهور وربما الاسابيع القليلة المقبلة. وكان سلطان عمان قد قام بخطوة مهمة عندما ادخل عددا من افراد المعارضة ومنهم بعض الظفاريين في حكومته بعد انتهاء حركة ظفار في منتصف السبعينات. كما حدثت تغييرات وزارية في قطر لاسباب معظمها داخلي.

اما في البحرين فان رئيس الوزراء استطاع ان يحيط نفسه بوزراء مطيعين لاوامره ويعتقد فيهم الولاء الكامل لسياساته، ولا يجد نفسه مضطرا لاجراء اي تعديل وزاري خشية ان يكون في الحكومة من يعترض على سياسة او موقف لرئيس الوزراء. وهكذا تعيش البلاد ركودا سياسيا قاتلا، ويحافظ على استمرار هذا الركود بواسطة السياسات القمعية التي تستهدف اصحاب الرأي الحر في هذه الجزر. ويعتمد رئيس الوزراء على تنفيذ سياساته القمعية على البريطاني ايان هندرسون الذي يستلم اوامره من رئيس الوزراء والامير.

المجلس التاسيسي عام ١٩٧٣

المنيوم البحرين (عام ٧٤) واضرابات المدارس قبل ذلك. كما كانت هناك جمعية التوعية الاسلامية التي كانت اكبر مؤسسة اسلامية في البلاد من حيث اتساع آفاق عملها وتنوع اعضائها واهتمام علماء الدين وطلاب الجامعات بها. ومع حلول العام ١٩٧٦ كان للجمعية مدرسة نظامية للبنات استقطبت مع مرور السنوات عددا كبيرا من الطالبات بلغ عددهن في مطلع الثمانينات اكثر من ١٠٠٠ فتاة تتلقى العلم نظاميا في مدرسة الجمعية.

انتخابات المجلس الوطني المذكور تخمضت عن فوز عدد من الاسلاميين بمقاعد برلمانية استطاعوا تكوين اتجاه فكري وعقيدي في العمل البرلماني يعادل تأثير التيار اليساري القومي والتيار الحكومي. وشهدت جلسات المجلس حالات صاخبة من الاخذ والرد وخصوصا حول القضايا التي ترتبط بعادات الناس الدينية مثل مسألة الاختلاط في المؤسسات الطبية والتعليمية، ومسألة المسيرات الاسلامية والاحتفالات، وكذلك مسألة الدخل النفطي ونصيب الامير منها. وقضى البرلمان السنة الاولى من عمره وقد انجز الشيء الكثير على صعيد الممارسة الديمقراطية ولم يكن هناك مجال للتشكيك في قدرة البحرانيين على ممارسة العمل البرلماني باكمل وجوهه. فكانت هناك الندوات والمحاضرات في النوادي والمآتم والجمعيات، وكان هناك السباق الفكري بين كافة التيارات، كما كان هناك التصميم على عدم التراجع عن مبدأ الحوار والتفاهم الذي من مظاهره ايضا التصادم الفكري والايديولوجي.

ومع حلول العام ١٩٧٥ كانت حكومة آل خليفة تشعر بجدية البحرانيين في الاستفادة من حالة الحرية النسبية في بلادهم، وكان يؤرقها ذلك كثيرا. ويضاف الى ذلك ان السعودية بدأت تمارس ضغوطا كبيرة على العائلة الحاكمة في البحرين باتجاه وضع نهاية للممارسة البرلمانية.

وفجأة طرحت الحكومة مشروعا قمعيا طلبت من البرلمان اقراره، وهو ما عرف بـ«قرار امن الدولة» الذي يعطي سلطات الامن حق القاء القبض على اي شخص تشتبه فيه امنيا وايداعه السجن لمدة تصل الى ثلاث سنوات بدون توجيه تهمة محددة ضده او تقديمه للمحاكمة. اثار هذا القانون سخطا واسعا بين المواطنين ورفضا قاطعا من قبل اعضاء البرلمان الذي وجدوا فيه امتهانا لابسط حقوق الانسان في مجال الحرية والعيش الآمن، فرفضوه بشكل كامل خلال المداولات الاولى قبل تقديمه للتصويت. فما كان من الحكومة الا ان بادرت بخطوة استباقية حلت بموجبها البرلمان على اساس القرار الاميري الصادر في ٢٦ اغسطس ١٩٧٥. كان هذا القرار صدمة كبيرة للشعب الذي اعتقد لفترة معينة ان بالامكان ان يتعايش آل خليفة مع الممارسة الديمقراطية. كما اعتبر تعليق العمل ببعض مواد الدستور واهمها المادة التي تطالب بايجاد مجلس وطني للشعب خطوة استبدادية جديدة من قبل الحكومة لمواجهة الشعب وتصفية الحساب معه. وسبق ذلك القرار اعتقال عدد من اعضاء الجبهة الشعبية واعلان رئيس الوزراء استقالة حكومته لعدم استطاعتها التمشي مع المجلس الوطني الذي تدعي انه يعيق سياساتها. وفي ٢٧ اغسطس اعلن رئيس الوزراء انه سينظم انتخابات جديدة بعد اعادة النظر في القوانين الانتخابية.

ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن فقد بقي الدستور معلقا، وحالة الطوارىء معمولا بها في البلاد. واذا كان ثمة شيء يقال هنا فهو ان الحاكم الحالي، عيسى بن سلمان آل خليفة، هو المسؤول الاول والاخير عن خنق الممارسة البرلمانية والمشاركة الشعبية في البلاد، حتى وان كان هناك من يحرضه على فعل ذلك، وقد استاءت الاوساط المحلية والدولية لقرار حل المجلس، وقام الاتحاد البرلماني الدولي في ٢٠ ابريل ١٩٧٦ بطرد دولة البحرين الى جانب دول اخرى من الاتحاد لعدم وجود حياة ديمقراطية تتناسب مع المقاييس العالمية. كما انتشرت حالة القمع منذ ذلك اليوم خصوصا وان جهازا جديدا للمباحث كان قد نظم قبل قرابة عشرة اعوام من ذلك الوقت. فعلى اثر احداث عام ٦٥ الطلابية - العمالية جيء بالسيء الصيت، ايان هندرسون، الذي كان قد ساهم في ضرب حركة الماو الماو في كينيا في الخمسينات والستينات، لكي ينظم جهازا قمعيا للاستخبارات في البحرين. وكان هذا الجهاز فاعلا في التصدي لحركة المعارضة طوال الفترة الماضية. ويعتبر قانون امن الدولة الذي ادى الاعتراض اليه الى حل المجلس الوطني واحدا من انتاجات عبقرية هندرسون الاستخباراتية. وهكذا كان لهذا الجهاز دوره في مراقبة نمو النشاط الاسلامي الذي انتشر في السبعينات عبر المؤسسات والاندية والمآتم وبين طلاب الجامعات العربية من البحرانيين، بالاضافة لما قام به من تصد لحركة المعارضة بشكل عام.

وينتقل الحديث بنا الآن الى اكثر المراحل السابقة حرجا منذ مجيء عيسى بن سلمان الى الحكم، وهي مرحلة الثورة الاسلامية في ايران منذ العام ٧٩. فقد كان القمع الذي مارسته حكومة آل خليفة طوال السنوات التي سبقت ثورة ايران منذ حل المجلس الوطني عام ١٩٧٥ من اهم العوامل الذي دفع شباب البحرين للانطلاقة السياسية التي شهدتها مدن البحرين وقراها بعد انتصار ثورة ايران مباشرة. فكانت المظاهرات في الشوارع والهتافات في مآتم العزاء والمحاضرات والندوات والاعمال السرية والعلنية كلها تصب في خانة المعارضة الفاعلة للنظام الخليفي. وكانت ممارسات جهاز هندرسون ضد شباب البحرين الذي وجد في ثورة ايران بصيص امل ثوري قادر على تحريك الامور في المنطقة نحو احداث تغييرات سياسية في البلاد، من اهم عوامل استمرار التحرك الشعبي طوال فترة الثمانينات. ولم تجدو وسائل التعذيب المتعددة التي ادت احيانا الى وفاة بعض المعتقلين (ستة اشخاص منذ العام ٧٦ حتى ١٩٨٦) في الحد من انطلاقة روح الثورة بين القطاعات الشعبية المختلفة. هذا بالرغم من عدم وجود برنامج عمل واضح للحركة الشعبية وبالرغم من عدم وضوح اهداف الحركات العديدة التي كانت تعمل سرا في البلاد. وكان الشعور بالاستضعاف من اهم عوامل التحريك الثوري خلال تلك الفترة.

تعتبر مرحلة الثمانينات من احلك الفترات التي مرت على البلاد في هذا القرن سواء من حيث وسائل القمع واساليبه ام على اساس الضحايا الكثيرة التي سقطت تحت ضربات جهاز القمع الخليفي. وخلال الاعوام العشرة (٧٩ - ٨٩) كانت قوافل المعتقلين متصلة بعضها ببعض فما ان تخرج قافلة من السجن حتى تدخل قافلتان مكانها. وتشهد بذلك تقارير المنظمات الدولية وفي مقدمتها منظمة العفو الدولية والمنظمة العربية لحقوق الانسان. كما تشهد بذلك اعداد السجناء الذين لم يقل عددهم في اية لحظة عن ٥٠٠ سجين. وهناك ايضا مئات المشردين من البلاد الذين لا يستطيعون العودة الى وطنهم. كما ان هناك مئات المواطنين الممنوعين عن العمل. وما تزال البلاد حتى الآن مكتظة بهذه المآسي برغم ما حدث في العالم من تحولات سياسية. واذا كان النفوذ الامريكي قد اعطى لحكومة آل خليفة ثقتها بالدعم المتواصل لسياساتها، فان هناك عوامل داخلية اخرى تمنع القبيلة الحاكمة من القيام باي اصلاح للوضع السياسي القائم لعل من اهمها الصراع المحتدم بين الاجنحة وخصوصا بين الامير واخيه رئيس الوزراء، وهناك ايضا الخشية الدائمة من فلتان الامور فيما لو سمح بقدر من الحرية والديمقراطية خصوصا بعد سنوات القمع والتعذيب. فكل ذلك قد اعطى حركة المعارضين ثقة بالنفس وجعلها ذات مناعة كافية ضد الخوف والخشية من الارهاب.

الصحافة كما يفهمها آل خليفة

التدخل السلطوي من قبل حكومة آل خليفة في شؤون الصحافة المحلية يزداد شيئا فشيئا ويضطر الصحافيين المحترفين للانسحاب من وظائفهم احيانا. وقد قدم مدير التحرير بجريدة «أخبار الخليج» اليومية استقالته مؤخرا بعد ان تدخل رئيس الوزراء، خليفة بن سلمان نفسه، في شؤون التحرير.

المسألة ببساطة هي ان احد القراء بعث رسالة الى الجريدة يطالب فيها السلطة باعادة النظر في سياسة تسميات الشوارع، واعترض بوجه الخصوص على تسمية شارعين في البلاد باسمين هما «المزورّة» و«حجيات». و تساءل عن معنى هذه الكلمات ومدى علاقتها بتاريخ البلاد وتراثها.

الجريدة نشرت هذه الرسالة على اساس انها دعوة لـ«بحرنة» التسميات والمصطلحات، ولم يكن في قرارها بنشر الرسالة شيء أبعد من ذلك. فما كان من رئيس الوزراء الا ان بعث في طلب مدير التحرير ليحاسبه حسابا عسيرا ويوبخه ويهدده.

مدير التحرير شعر بالاحباط من هذا التدخل السافر في شؤون جريدته وتساءل عن مدى جدوى الاستمرار في العمل اذا كان رئيس الوزراء يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، ولم يجد مجالا الا تقديم الاستقاله.

يضاف الى ذلك ان وزير الاعلام، طارق المؤيد، نفسه هو الذي يدير تحرير جريدة «الايام»، فيتصل بشكل شبه يومي برئيس أو مدير التحرير ليخبره بما يجب ان يكون المانشيت العريض للجريدة وبموضوع افتتاحية الجريدة واي الاخبار يجب ان يبرز واياها يجب ان يضمر. كل هذا يحدث في البلاد، والسلطة تتشدق بحرية الصحافة احترام الكلمة!.

عيدنا.. يوم انتهاء عهدك

ايها المتجلبب بالانواط، المتعمم بالقيود، المتردي بلباس الظلام.. ثلاثون عاما من الظلم والقمع والاضطهاد.. فماذا جنيت؟ ثلاثة عقود من الاستبداد وتكميم الافواه، فماذا حصدت؟ انك تعيش سجينا بين اهلك لانك تخشى من الشعب وتخاف من الانتقام. وانت تعيش مع زوجتك خائفا من اخيك، بل حتى من ابنك.. تخاف من الناس فتلجأ الى الاجانب كي يحموك، وتتذرع بالتعذيب لينجيك من سخط الشعب وتعتزل في مجلسك الخاص لان المجلس العام يكشف عورات حكمك.

لماذا هذا الشقاء، وماذا ستحمل معك الى قبرك الضيق حيث يحل الحساب والعقاب؟ وهل تحتاج لاستقامة او دك الا لقطعة رغيف والا لكاس ماء يبعد عنك ظما الصيف القاتل؟ وهل تحتاج لتعيش الا لمسكن صغير يحميك واهلك من لظى الشمس ومن حماة وهجها؟ وهل نفسك لا تقنع بما تقنع به نفوس الناس؟

فالنفس راغبة اذا رغبتها

واذا ترد الى قليل تقنع

يا ابا حمد: اذا كنت شجاعا فلتخبر الناس بما خصصت من ميزانية من اموالهم لاحياء عيد جلوسك.. اخبرهم عن برامج احتفالك وعن مظاهر الترف والصرف غير المشروع لخداع العالم باستقرار حكمك.. افصح عما سيقوم به مخبروك خلال هذا الشهر الذي لا يعده الناس الا وبالا.. فانت تفرح والناس مكتئبون وانت تبتسم وهم عابسون. وحتى التجار خائفون من هذا الشهر. ففيه تسلب باموالهم لانهم يجبرون على نشر اعلانات التهاني والتبريكات تحت التهديد والتوعد. فانت تعلم ان الناس ساخطون عليك وعلى حكمك ولا يمكن ان يتفوه احد منهم بكلمة رضا او تبريك لان الحزن مخيّم على كل البلاد.

هل تعلم يا ابا حمد وانت تحتفل بعيد جلوسك ان هذا العيد خال من الوطنية او القومية؟ هل تعرف ان انات ربات البيوت ستحيي ليالي هذا الشهر وانهن سيبكين دما بدل الدمع حزنا على احبتهن؟ فسجونك المظلمات تكاد تنفجر غيظا من نفاق اعلامك واهلك ونظام حكمك، فاين الاستقرار وشباب البلاد مصفد الايدي والارجل مكمم الافواه، مغلوب على امره يحيي الزنزانات بالدعاء والثبات على شيء واحد، وهو رفض نظام حكمك الذي لم يات الا بالوبال على الناس، فلماذا لا تاخذ قرارا تاريخيا وذلك باعلان الفشل وطلب العفو من الشعب والاعتذار لامهاتنا اللواتي لم يرين خلال حكمك الا الحسرة والاسى والعبرات؟

يا ابا حمد: هل تعلم انك اسوا حاكم شهدته البلاد منذ ان ولّى جدّ ابيك قبل ٦٨ عاما؟ وهل تعرف انك تحكم بقانون الطوارىء منذ ستة وعشرين عاما، وانك اكثر حكام آل خليفة قمعا للناس، حيث لم يمر عام واحد منذ ان جئت الى الحكم بدون ان يكون هناك سجناء رأي في زنزاناتك؟ وهل يمر بخلدك ان شعب البحرين لم يعش فترة احلك من فترة حكمك الاسود؟ ثلاثون عاما والشعب يئن تحت وطأة جلاديك.. فماذا تريد؟ والى متى ستظل مميزا عن كل اقرانك؟ هل تعرف انك تفوقت على كل اقرانك في ما يسمى دول مجلس التعاون الخليجي في وسائل القمع وقوانين الاستبداد؟ هل تعلم انك الوحيد من بين امثالك الذي لم يصدر عفوا عن اي سجين خلال العقود الثلاثة الماضية من حياة هذا الشعب. وحتى آل سعود لم يبلغوا من السوء ما بلغت، ولم يسجنوا من الناس عدد من سجنت.

بماذا نفرح والحزن هو سيد الموقف في بحريننا الحبيبة؟ ولماذا نمرح ونحن نئن تحت وطأة الجلادين. او رأيت مصفدا بالقيود في يديه ورجليه يقوى على الوقوف ليرقص فرحا؟ او ترامى الى سمعك ان بلبلا حزينا يحسن الغناء والتغريد وهو سجين في قفصه؟ وهل يبتسم من فقد احب اهله سجنا او تشريدا او قتلا؟

ان التفاؤل سمتنا طوال التاريخ، فنحن ننظر للمستقبل المشرق حتى في اشد الليالي ظلمة ورعدا وبرقا. ولكن الامل يذبل في خريف حكم لا يؤمن بالانسان ولا يرعى لاحد من الشعب الا ولا ذمة. ولو حدثتنا نفسنا بالفرح هذه الايام لكنا خائنين.. خائنين لاخواننا الذين قضى بعضهم في زنزانات آل خليفة اكثر من عشرين عاما، وخائفين لقضيتنا التي تابى القبول الا بالحرية والقانون والعدل وحكم الاسلام والمساواة بين الناس.

يا بحريننا الحبيبة: اقيمي المآتم في هذا الشهر، فليس هناك مجال للفرح فالغراب الخليفي ينعق الحرية والاستقرار في البلد ويابى ان يعيش اهل هذه الارض الا في الزنزانات والا في القيود. ويا شبابنا الابيّ اياك اياك ان تنخدع بالاقاويل والوعود، وكفاك انحناءا وكفاك ثقة بمن هو ليسوا اهلا للثقة. ويا مرابع البحرين البسي السواد واقيمي العزاء فالحرية قد خنقت في بلدي والاحرار مطاردون في كل مكان والابرياء مقيدون في الاغلال في سجون حظيت باهتمام الساهرين على مصلحة البلد الذين لا يعيشون الا على دماء الابرياء وجماجم المؤمنين، وكل عام ونحن في عزاء.

ثلاثون عاما حزينة

ثلاثون عاما وأنّات شعبي كصوت الزلازل
وكل البلاد تعيش على نغمة من نياح الارامل
ونصحو على الحزن والكرب والناعيات الثواكل
ضياغمنا في سجون العدى كبلتها السلاسل
وتلك النخيل تذوق الحمام.. اموت لتلك النخائل
واحلى الدوارس تابى البقاء بتلك السواحل
وفي كل دار لنا مأتم ويعلو السواد المنازل
وشمس البلاد ابت ان تطل وقد أمّتها المهازل
وفوق الهضاب ظلام الخليفة ارخى الكلاكل
ومن ظلمه هجرت دوحنا صادحات البلابل
ابت ان تغني.. ابت ان تطير.. ابت ان تزاجل

*****

ثلاثون عاما

ثلاثون عاما وارض الاباة بلا فرحة وابتسامة
على صبرها حيم الظالمون... وداسوا لها كل هامة
وشيخهم في جدار الاخوّة يرمي سهامه
وعاثوا الفساد بأرجائها فاتى لهُم والشهامة
واين هم من معاني الابا والندى والكرامة
وهيهات تنعم في عهدهم قطة او نعامة
وهل ينتشي في سجون العدى بلبل او حمامة
وكيف يؤمل مستضعف في القيود السلامة
ومن ظلمهم لا يعي درسه خلفه ام امامه
وليس له في طريق العلى غير درب الصرامة
ليصنع تاريخه مشرقا في سجون المنامة

*****

ثلاثون عاما

ثلاثون عاما وارض اوال تقيم المآتم
وتهجرها نظرة الحب فالحزن يخفي المعالم
وأنى تخفف كربا لها مُسدلات التمائم
ففي قلبها تستغيث الجراح وتحنو عليها المياسم
تطاولها الباسقات وتبكي على ما دهاها الحمائم
وارواحها بالدماء تحل لها مبهمات الطلاسم
يسجل ابطالها في الوغى رائعات الملاحم
وكيد العدى ليس يرضى بغير الجماجم
وبالمال تُشرى الرجال وتُغرى النفوسَ الدراهم
ومن يفقد النطق يلقَ العدى بالشتائم
رزايا أوال ستبقى هناك لعيسى مكارم

الميزان العسكري بين البحرين وقطر

تقدمت قطر بشكوى لمحكمة العدل الدولية في لاهاي مطالبة باستعادة جزر حوار التي تقع تحت سلطة البحرين. ومن المتوقع ان تقدم حكومة البحرين مرافعتها للمحكمة قبل نهاية العام، بعد ان عبرت عن سخطها لان قطر اخلت باتفاق يقضي بتقديم المرافعتين في آن واحد.

ويرى بعض المراقبين ان محكمة العدل الدولية ستجد صعوبة في الحكم لصالح قطر لمجرد قرب حوار الجغرافي من شبه الجزيرة القطرية، والا فان الكثير من المنازعات الدولية ستؤدي الى حروب.

وبالفعل لا يستبعد بعض المتشائمين ان يلجأ آل ثاني للقوة، التي تعودوا على التهديد باستعمالها للسيطرة على الجزر التي يقال انها غنية بالغاز.

ورغم ان عملية شد الحبل بين آل ثاني وآل خليفة تتسم بالطابع القبلي، فان النجاح سيكون، لو استخدمت القوة للجانب البحراني. ذلك انه رغم البعد الجغرافي للجزر عن البحرين وقربها من قطر، فان القوات المسلحة في الاولى تفوق كفاءة وتسلحا.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الجيش القطري يعاني من الكسل وعدم الانضباط مقارنة بالقوات المسلحة البحرانية، كما يشار الى ان القطريين قد «اخجلوا» القوات المتحالفه في عملية الخفجي، بعد ان عجزوا عن مواجهة الوحدات العراقية التي احتلت المدينة السعودية ابان حرب الخليج. واضطرت قيادة القوات الحليفة والعربية بالذات الى استبدال القطريين بقوات سعودية تدعمها وحدات امريكية. وفيما يلي نبذة عن الميزان العسكري بين قطر والبحرين حسب احدث تقارير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية.

	البحرين	قطر
عدد القوات	٧,٤٥٠ (٦٠٠٠ جيش، ١٠٠٠ للبحرية، ٤٥٠ للجوية)	٧,٥٠٠ (٦٠٠٠ للجيش، ٧٠٠ للبحرية، ٨٠٠ للجوية)
الطائرات	٢٤	١٨
الدبابات	٨١	٢٤
السفن الحربية	٢٦	١٩

ملاحظات:

١ـ الطائرات التي تمتلكها البحرين منظورة مقارنة بتلك التي في حوزة قطر. تمتلك البحرين ٨ طائرات أف ـ ١٦ و ١٢ طائرة فانتوم. عماد القوة الجوية القطرية هو ١٢ طائرة ميراج أف ـ ١

٢ـ الدبابات في البحرين منظورة ايضا من نوع أم ـ ٦٠ ٣١ الامريكية بينما الدبابات القطرية فرنسية الصنع من طراز اي ـ أم اكس ـ ٣٠

٣ـ تتميز قطر بحوزتها على سفينة انزال بحرية ـ برية، كما ان لديها ٢٠ مروحية مسلحة مقارنة بـ ١٢ مروحية مسلحة لدى البحرين. ورغم ان هاتين الميزتين وقرب قطر من جزر حوار يعطيها تفوقا في عمليات انزال، الا ان التفوق الفني والانضباط هو لصالح البحرين.

بعد عشرة اعوام على انشائه

مجلس التعاون يبحث عن هوية

بغض النظر عما سيدور في قمة ما يسمى مجلس التعاون لدول الخليج العربية التي ستعقد في الكويت في الاسبوع الاخير من هذا الشهر فان شهادة الفشل لهذا المجلس قد حررت من قبل الراي العام العالمي ومن ضمنه آراء المفكرين والصحافيين والسياسيين. واذا كانت هذه القمة هي الاولى منذ تحرير الكويت من الاحتلال العراقي، وبالتالي ربما يسعى قادة دول التعاون لمحاولة استغلال الفرصة والظهور بمظهر القادر والمنتصر، فان وقائع الامور على الساحة الخليجية لا تشير الى وجود مصداقية لهذا المجلس، كمؤسسة خليجية اعتبرت آخر ما توصل اليه الحكام الخليجيون في محاولاتهم ابراز هوية محددة للمنطقة.

لقد مر على انشاء المجلس عشرة اعوام كاملة، وهي فترة كافية لتجمع كهذا ان يحقق قدرا كافيا من الاهداف في حالة نجاح تجربته. اما مجلس التعاون فلا يستطيع تقديم كشوف حساباته كاملة بسبب ما فيها من تلاعب وغش وهفوات كبرى. فاذا سلمنا بان التجمع لم يكن سوى تنظيم اقتصادي واجتماعي، حسب ما جاء في بنود تكوينه فانه حتى في هذه المجالات لم يتحقق الشيء الكثير. فعندما اعلن عن تكوين المجلس عام ١٩٨١، حيث كانت الحرب العراقية ـ الايرانية في اوجها، وكانت دول الخليج قلقة من انفجار الاوضاع الداخلية بسبب المشاكل الداخلية والاحتقان الشعبي، كان محمد عبده يماني، وزير الاعلام السعودي آنذاك يؤكد على ان المجلس ليس تجمعا او تحالفا سياسيا او عسكريا بل هو تجمع اقتصادي واجتماعي. وكان في تلك التصريحات برد على ما كانت تؤكده وكالات الانباء العالمية ومنها وكالة تاس السوفياتية التي كانت ترى في ذلك التجمع امتدادا للنفوذ الامريكي في منطقة الخليج. واكد هذه المقولة وقتها وزير خارجية الكويت، الشيخ صباح الاحمد، والملك فهد بن عبد العزيز نفسه ووزير اعلام البحرين، طارق المؤيد، في تصريحات ومقابلات متعددة.

وحتى اذا سلمنا بان المجلس لم يكن سوى تكتل اقتصادي ذي ابعاد اجتماعية وثقافية فان الانجازات على هذا الصعيد ليست مشجعة ولا يمكن اعتبارها نجاحا. فدول الخليج تعتمد على الانتاج النفطي في وارداتها بنسبة تتجاوز الـ ٩٠ بالمائة من مجموع الواردات. وهذه الحالة لم تتغير، فلم تكن هناك مشاريع تنمية موازية تساهم في تعدد اوجه الموارد. والكويت كانت الاكثر تقدما في هذا المجال، حيث استطاعت توفير استثمارات ضخمة في دول الغرب، تجاوزت الـ ١٥٠ مليار دولار قبل الازمة الاخيرة. ولكن هذه الاستثمارات لا يمكن ان تعتبر موردا ماليا ثابتا ومستقلا بل هي خاضعة للاوضاع السياسية في المنطقة وللعلاقة بين المنطقة والغرب. فماذا سيحدث لهذه الاستثمارات لو تعقدت الامور والعلاقات بين الكويت والدول الغربية، وقررت هذه الدول تجميد الارصدة الكويتية كما فعلت واشنطن بالاموال الايرانية عام ٧٩ وكما فعلت هذه الدول بالارصدة العراقية بعد غزو الكويت؟ الا يعني ذلك ان هذه الاستثمارات لا تفيد الا في وقت السلم والعلاقات الحميمة مع الغرب. اما في ساعة الشدة، وهي المحك، فلا يعني وجود هذه الاستثمارات شيئا.

والمجلس لم ينجح في تقنين شروط التنسيق الاقتصادي ولم يستطع توفير ظروف هذا التنسيق. فالمشاريع الصناعية تحكمها روح التسابق والغيرة بدلا من التنسيق والتشاور والترابط. فهناك مشروع صناعة الالومنيوم في البحرين، وهو اول مشروع من نوعه في الخليج. ولكن دبي اقدمت على مشروع مشابه لمنافسة المشروع البحراني. ولم يقتصر الامر عند هذا الحد، بل ان السعودية نفسها كررت المشروع واصبح لديها مصنع الومنيوم كبير. وشركة طيران الخليج التي تمتلكها اربع دول خليجية هي البحرين والامارات وقطر وعمان لم تسلم من المنافسة الخليجية. فبالاضافة للخطوط الجوية الكويتية والسعودية، قامت دبي بانشاء شركة طيران خاصة بها اسمتها «طيران الامارات» واصبحت شيئا فشيئا تنافس طيران الخليج في خطوط عملها والمطارات التي تخدمها. وربما تقوم عمان بتطوير شركة طيرانها الداخلي «العمانية» لتصبح منافسة لشركات الطيران الخليجية الاخرى. وصناعة البلاستيك اصبحت منتشرة في هذه الدول الخليجية بدون وجود ضوابط للحد من التنافس غير المدروس. والسعودية اصبحت منزعجة مثلا من مشروع المنطقة الحرة بمنطقة جبل علي التابعة لدبي، خصوصا وانه يخل بمشروع التعرفة الجمركية الخليجية الموحدة، وهو ما تسعى اليه دول الخليج لابرازه كمظهر من مظاهر التنسيق والتكامل. وحتى عندما حدثت ازمة الكويت وطلبت هذه البلد من شقيقاتها في مجلس التعاون انتاج كمية نفطية نيابة عنها بعد ان احرق العراق آبار النفط الكويتية، قوبل هذا الطلب بالرفض القاطع! فهل يمكن بعد كل هذا القول بان المجلس حقق اهدافه الاقتصادية؟

اما على الصعيد السياسي، فقد فشل المجلس في التوصل الى ورقة عمل سياسية سواء على الصعيد الداخلي ام الخارجي. فعلى صعيد العلاقات الخارجية لم ينجح المجلس في صياغة ورقة عمل متفق عليها. فعندما كانت الحرب العراقية ـ الايرانية في اوجها وكانت العلاقات الخليجية ـ الايرانية تمر باصعب اوقاتها كانت سلطنة عمان تحتفظ بعلاقات طيبة مع جارتها الشمالية. وعندما حدثت ازمة الخليج الاخيرة، كانت عمان الدولة الخليجية الوحيدة التي استقبلت طارق عزيز بالرغم من انزعاج الاخريات من هذا التصرف. كما فشل المجلس بشكل عام في علاقاته الخارجية. فقد وقف رسميا بجانب العراق خلال السنوات الثماني من الحرب وقدم المعونات المالية والعسكرية لبغداد، واتهم ايران بشتى التهم، فماذا اجدت هذه السياسة؟ لقد انقلب السحر على الساحر وقدم صدام حسين شكره لهذه المواقف باحتلال دولة الكويت وتشريد اهلها وتدميرها كبلد انفق على بنائه وتطويره مئات المليارات من الدولارات بالاضافة لانتهاك حرمة أهله.. ان سياسة مجلس التعاون هي المسؤول الاول عن كارثة الكويت بدون تردد او تغافل.

اما على الصعيد الداخلي، فقد اظهرت السياسات الخليجية فشلها الذريع كذلك، حيث لم تساهم سياسات القمع والارهاب الا في تكريس حالة الشعور بالقهر والحرمان في الاوساط الشعبية، وزاد من ذلك الامعان في تقييد الحريات الشخصية وتطبيق القوانين الامنية التعسفية بحق الاحرار ومن يسول نفسه بالتفوه بما يعتقده او المطالبة بديمقراطية او حقوق مدنية او سياسية مشروعة. وما تزال شعوب دول الخليج تعيش حالة هي الاسوأ من شعوب العالم حيث تفتقد اي نوع من المجالس المنتخبة ووسائل التعبير المشروعة والمشاركة في الادارة والسياسة. ولم ينجح المجلس الا في تبادل المعلومات على صعيد التبادل الامني وتسليم الابرياء الذين لا ذنب لهم سوى المطالبة بان يعيشوا كما يعيش الناس.

اما المجال العسكري، فهو الآخر شاهد على فشل سياسات المجلس خلال العقد الاول من عمره. فقد انشئت قوات درع الجزيرة كقوة خليجية مشتركة واشتري من المعدات العسكرية الغربية ما لا يضاهى، واستقدم الخبراء الغربيون لتدريب الجيوش الخليجية على احدث وسائل القتال والتنسيق الميداني. ولكن هذه القوة فشلت فشلا ذريعا امام اول امتحان فعلي لها، وسقطت هيبة المجلس في الساعات الاولى من صباح الثاني من اغسطس العام الماضي، ولم تطلق رصاصة واحدة من قبل قوات درع الجزيرة المتمركزة في قاعدة حفر الباطن السعودية التي لا تبعد عن الكويت سوى بضع عشرات من الاميال، بل حدث كل شيء وكأن الخليج لم يبذل دوزلارا واحدا على وسائل تسلحه.

والآن لعل اهم ما هو مطروح امام القمة الخليجية المقبلة هي الورقة العمانية حول الاستراتيجية الامنية الخليجية. هذه الورقة تتضمن تصورات عمان حول امن الخليج بعد عاصفة الكويت، وعلاقة المجلس بدول عديدة في مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وايران ومصر وسوريا. كما تتطرق الى المشروع العماني بتطوير قوات درع الجزيرة ليصل عدد افرادها الى ١٠٠ الف جندي بدلا من الـ ١٠ آلاف جندي حاليا. وهناك اختلاف حول الورقة العمانية خصوصا بعد ان وقعت كل من الكويت والبحرين اتفاقات الحماية العسكرية مع واشنطن. وما هذه الاتفاقات الا مؤشر واضح على عدم ثقة كل حكومة خليجية بكفاءة التكتل العسكري الخليجي من جهة وعدم الثقة في النوايا من جهة اخرى، خصوصا وان الخلافات بين هؤلاء الحكام كثيرة ومتعددة الاوجه. وفي مقدمة هذه الاختلافات في الوقت الحاضر المشاكل الحدودية التي تكاد تؤدي الى حرب بين قطر والبحرين، والتي اصبحت تقلق المراقبين خصوصا وان اكبر دولة خليجية وهي السعودية لديها مشاكل حدودية مع كل دولة خليجية تقريبا ولها اطماع لا حدود لها في الخليج. كما ان لها خلافات دينية واسعة مع سلطنة عمان التي تشكل فيها طائفة الاباضية ثقلا كبير، ومع شعب البحرين لانهم لا يدينون بالوهابية. هذه الحقائق جميعا تجعل الوضع الخليجي صعبا، وتجعل من القمة المرتقبة غير ذات شأن على مستوى حل المشاكل.

وهذا يعني ان مجلس التعاون الخليجي الذي مضى على انشائه عشرة اعوام كاملة لم ينجح في اي من الاهداف التي حددها لنفسه، لانه حاول ايجاد التفاهم بين حكام ذوي قبائل متناحرة وتجاهل دور الشعوب الخليجية في التغيير المطلوب. وكان بامكان المجلس الرجوع الى هذه الشعوب للاستفادة من طاقاتها من خلال برلمان خليجي مشترك تكون له سلطة التسريع والتقنين والمحاسبة وصنع السياسات العامة. ولكن:

لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

ديون جامعة الخليج تبلغ ٦٦ مليون دولار

رفع المقاولون الذين انجزوا مشاريع الانشاء في جامعة الخليج العربي دعوى ضد حكومات الخليج الست والعراق (بصفتهم مالكي الجامعة) وطالبوا محكمة البحرين العليا الحجز على مباني الجامعة التي يشغلها الآن ما يقارب الالفين طالبا. وتم تحديد يوم ٣٠ ديسمبر للنظر في الدعوى، الا ان الحكومات رفضت الاستجابة للمحكمة بالحضور ما عدا ممثل البحرين. وتطالب الشركات هذه الحكومات دفع الديون البالغ قيمتها ٦٦ مليون دولار. هذا ويذكر ان جامعة البحرين استولت على المباني ودمجت منشآت جامعة الخليج مع جامعة البحرين وتسلم عمادة الجامعة الدكتور ابراهيم جمال الهاشمي الذي اثبت كفاءته في مطلع السبعينات عندما استولت البحرين على كلية الخليج الصناعية بعد ان رفضت الدول الخليجية المشاركة في المشروع بتسديد مستحقاتها.

وان دلت هذه القضية على شيء فانما تدل على استهانة الدول الخليجية لدور القلم واستعدادها لدفع الاموال الطائلة على الدفاع والامن ومجون ابناء العوائل الحاكمة.

«حكاية من سجن القلعة»

كان الجلاد نبيل السعودي، أحد جلاوزة الضابط الاردني محمود العكوري في ادارة التحقيقات الجنائية، من اغلظ واقصى افراد مباحث التحقيقات على المعتقلين الاسلاميين في سجن القلعة (قسم التحقيقات الجنائية). ونبيل هذا شاب عمره حوالي ٢٧ سنة ويسكن منطقة البسيتين في مدينة المحرق، امه بحرينية وابوه سعودي. وقد استقر في بلدته حينما طلق ابوه أمه، وصار من ابناء الشوارع المعروفين حتى توظف كجلاد في ادارة التحقيقات الجنائية.

كان دائم التهكم والاستخفاف بعلماء الدين ورجالات الأمة، وما برح يتلفظ بالكلمات النابية والشتم ضد رموز الحركة الاسلامية أمام المعتقلين كي يستفزهم ويؤذي مشاعرهم. وتبلغ به الوقاحة والصلافة احيانا بأن يخرج أحد الموقوفين الجنائيين (مخدرات او سرقات) ويأمره بان يهرج على معتقدات الشيعة، او يقول لآخر ان يتكلم بما يضحك ضد (البحارنة) وكل ذلك يتم على مرأى ومسمع من المعتقلين حيث يستغل لذلك فترة الخروج لدورة المياه حتى يكون أكبر عدد من المعتقلين متواجدا في تلك الاثناء.

وكان المعتقلون يستغلون اللحظات القليلة أثناء الخروج لدورة المياه مرتين في اليوم في الساعة الثالثة فجرا وفي الساعة الثالثة عصرا، كانوا يستغلون بعض دقائقها للتمشي في مساحة لا يتعدى طولها ١٠ أمتار، الا ان هذا الجلاد كان يرفض بشدة ان يسمح لاي معتقل من الاسلاميين ان يتمشى، حيث كان دائم التلويح بالسوط او الهراوة او الكابل الذي تعود ان يحمله معه وهو يصطحب المعتقلين الى دورة المياه.

ويذكر في احدى المرات ان السيد جعفر السيد محمد السيد شبر من قرية الديه مع عبد الحسين علي مبارك من قرية كرانة كانا يتمشيان بعد انتهائهما من التغسيل بانتظار ان تنتهي كل المجموعة. فقام لهم وهو يلوح بالعصا في وجههما مهددا ومتوعدا: إجلسا ولا تتمشيا!؟ وحينما قال له السيد جعفر ان كل المعتقلين يتمشون هنا وان هذه الدقائق هي الفرصة الوحيدة لنا لتحريك مفاصلنا بعد مكوثنا في الزنزانات طوال اليوم، قال نعم اعرف ذلك، ولكن هذا ليس من حق الخمينيين!؟ ثم اردف قائلا: وددت لو ان الخمينيين قد تعطلت ركبهم وتكسرت أرجلهم حتى لا يستطيعوا المشي أبدا!!

أما من ناحية الاذى البدني (الضرب) الذي كان يقوم به ويباشره نفسه شخصيا او الذي يتسبب به فحدث ولا حرج. فحينما يضرب يقسو وحينما يعذب يتلذذ ويظهر فنونه وخبائثه. هذا الطاغية النكرة كان يبدى غبطته في الاذى الذي كان يقوم به ضد المكبلين المحرومين الذين لا حول لهم ولا طول. ماذا كان مصيره وما الذي جناه من اخلاصه وتفانيه في خدمة الظلمة؟ لقد ناله من دعوات المؤمنين الشيء الكثير، حتى استجاب لهم الله سبحانه واراهم ما يثلج صدورهم وتقر به اعينهم.

دخل الجلاد نبيل السعودي في قصة حب وغرام مع احدى فتيات مدينة المحرق، وهام بها وهامت به. لكن الفتاة قد خطبت لغيره، ووافق اهلها وتم العقد. فتحير الاثنان في امرهما حتى قررا الهروب معا خارج البحرين. في يوم من الايام تخلف نبيل السعودي عن حضور دوامه وقد كان بعد الظهر. ثم اتصل متأخرا بمسؤول النوبة الذي كان أنذاك نائب عريف يدعى عيسى الشماع من سكنة الرفاع الشرقي، اتصل به من المطار وأخبره أنه مسافر الآن في مهمة ضرورية، ومسؤول النوبه لم يتصرف بسرعة لايقافه قبل سفره، بل اخبر رئيس الجلادين الرائد عبد الرحمن بن صقر آل خليفة في اليوم التالي، اي بعد ان تمكن نبيل السعودي من السفر بصحبة الفتاة، فعوقب الشماع بنقله من ادارة التحقيقات الجنائية الى ادارة التدريب والعمليات والبس الزي العسكري بعد ان كان لوقت طويل متأنقا بالثوب المكوية والعقال!؟

سافر نبيل السعودي مع الفتاة الى بريطانيا ثم مكثا معا في امريكا. وبعد ان حملت الفتاة عادت الى البحرين، ثم اتصلت به وحثته على الالتحاق بها، فاستجاب لها ولكنه بمجرد وصوله الى المطار اعتقل واخذ الى ادارة التحقيقات الجنائية بأمر من عبد الرحمن بن صقر آل خليفة.

بعد منتصف الليل، فتحت احدى زنزانات التحقيقات الحارة والمظلمة بابها وادخل معتقل جديد اسمه نبيل السعودي، ادخل مع المستضعفين الذين كان يضطهدهم ويعذبهم ويستخف بهم وبمبادئهم. كان في الزنزانة خجلا منكسرا، وناله الحر واصابه الجوع وشعر بالأذى. فاذا اتى احد الجلادين الى الزنزانة لغرض او لآخر اخذ يتوسل اليه من اجل سيجارة، ولا مجيب، كان الجلادون جميعا يتهربون منه وينهرونه ويخافون ان يتكلموا معه حيث كانوا رفاقه بالامس!! اذ ان كبيرهم عبد الرحمن بن صقر آل خليفة اراد ان يضرب عصفورين بحجر واحد من قضية نبيل السعودي. اولا ان يدخل الانضباط الى جهازه المليء بافراد كلهم على شاكلة نبيل السعودي. ابناء شوارع، سفلة، ساقطون منحرفون.. الخ، ثانيا اراد ان يبعث الرعب والرهبة في قلوب جلاوزته ويثبت لهم ان من يخالفه او يعصيه او يتمرد على اوامره فان مصيره مع هؤلاء المنكودين الذين طالما اشبعتموهم اذى وقهرا ليلا ونهارا، بل وفي تلك الزنزانة المكدسة بالبشر، وقد كان عددهم يفوق ٢٥ فردا. المحظوظ منهم من يظفر بمكان ليستلقي فيه او قطعة كارتون لينام عليها؟ واثناء توزيع الاعمال في الزنزانة ،٢ لتنظيف الصحون، ٢ لجلب الماء، ٢ لتنظيف سطل البول،... الخ، فغسل وكنس واخذه الروتين اليومي كغيره.

وفي يوم ما جاء الى احد المعتقلين القدماء في الزنزانة المقابلة لزنزانته وطلب منه تمرا حيث كان يئن من وطأة الجوع. هذا المعتقل بالذات قد تعرض لاقسى انواع الضرب وأشد أنواع الاذى على يدي هذا الجلاد السابق!! ولكنه أظهر من الرأفة به والاشفاق عليه ما جعله يطلب منه، واي طلب، انه يطلب تمرا وهو يعرف أن التمر هو زاد السجن الثمين. قال له ذلك المعتقل أنا سآتيك بالتمر فور خروجنا لاخذ طعام الغذاء الآن. وبعد ان سأل سائر المعتقلين عن سر حديث نبيل السعودي مع ذلك المعتقل وعلموا بالموضوع.. شكروا الله واثنوا عليه.

٣٠ عاما

ثلاثون عاما جليس القصور ... كأن الزمان ابى ان يدور
كأن التطور في جانب ... وانت بواد وتأبى العبور
فما القصر الا غناء المجون ... ورقص الغواني وعب الخمور
وما القصر الا دهاليزه ... ومجلسه لا يزين الحضور
ثلاثون عاما ومات الحياء ... وفي الجزر البكر عم الفجور
لقد كانت الارض خلابة ... المناظر فيها تفور
تظللها باسقات النخيل ... معانقة في علاها البدور
وعاش الاهالي على تمرها ... متى في اوال تشح التمور؟
الى ان حكمتم فساد الجفاف ... وديلمون صارت كصحراء بور
اصاب النخيل وشعب النخيل ... بلاء دخيل وظلم وجور
فغارت مياه وجفت زيوت ... ينابيعها اوشكت بالضمور
ثلاثون عاما وبترولنا ... يربي «الكروش» ويبني القصور
ثلاثون عاما جليس الرفاع ... وغرس الصخور عديم الجذور
وهل ينبت الصخر الا النتوء ... وفي طيب الارض تربى الزهور
وفي طيب الارض نبت الخلود ... شباب كريم وشعب غيور
لهذا ستبقى لنا دانة ... اوال تشع، وانتم قشور

ثلاثون عاما: ـ البقية ـ

ان امهات السجناء في البحرين تعيش دائما على الامل، ولولا هذا الامل لماتت القلوب ولانطفأت الامنيات في قلوب الناس. وحلول مناسبة، كعيد جلوس الحاكم واحدة من المناسبات التي تحلم فيها هذه الامهات بقرب انتهاء محنتهن. هذا الامل سببه اعتياد الشعب في دولة القبيلة على عدم جدوى البحث في دهاليز القضاء او الاحتماء بالقانون لحل الاشكالات والقضايا. وفي دولة تفتقد المؤسسات ولا تعطي للقانون نصيبا في ادارة البلاد، فان اللجوء الى منطق العصر والبحث عن حلول للقضايا في اطر القوانين والمؤسسات عبث لا يؤدي الى نتيجة. فمنطق عالمنا الخليجي يعتمد على دور القبيلة في تسيير شؤون السلطة، وليس للدولة بمفهومها العصري والقائمة على اساس المؤسسات الدستورية وسيادة القانون وجود ملموس.

وليس مستبعدا ان يقوم الامير باعلان العفو عن بعض المسجونين كما ليس مستبعدا ان يمتد «عطفه» للمشردين فـ «يسمح» لبعضهم بالعودة، ولكنه لن يتحدث في خطابه عن دستور البلاد الذي جمد العمل باهم بنوده قبل اكثر من ستة عشر عاما. فهو كريم في العطاء لمن يشاء ولكن هذا الكرم لا يمكن ان يصل الى حد السماح بقيام دولة القانون مهما كانت الظروف. فهو فوق القانون ولا يقبل ان يشاركه الشعب في ادارة البلاد، وحوله بطانته وفي مقدمتهم اخوه وابنه وكلاهما لا يعترفان بحكم الدستور ومنطق العصر. ورئيس الوزراء بشكل خاص من اكبر اعداء قيام الدولة العصرية المحكومة بالقانون والمستندة في ادارة شؤونها وصنع قراراتها السياسية على دور الشعب.. انه منطق الحكم القبلي، وهل يمكن تزاوج هذا النمط من التفكير مع التفكير القائل بان للشعب حقه في الحياة الكريمة وفي ادارة بلده وان الناس سواسية امام القانون وانه لا يجوز لابناء آل خليفة ان يعيشوا على رؤوس الناس ويسرقوا اموال الشعب ويصادروا حقوقه ويمتلكوا اراضي البلاد بغير حق ويتسلووا مع غيرهم في فرص العمل ان الصراع بين المنطقتين مستمر ولن تؤثر «هبات» الامير شيئا في هذا الصراع، ولا مكان للتعايش بين منطق الاستبداد ومنطق الحوار في بلاد البحرين.